الحياة
AL HAYAT
تجريبي

تأشيرة «شينغن» وعمالة في خطر تشغلان هموم المصريين

السبت، ٢١ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٥ (٠٠:٠٠ - بتوقيت غرينتش)
النسخة: الورقية - دولي

القاهرة - أمينة خيري
آخر تحديث: السبت، ٢١ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٥ (٠٠:٠٠ - بتوقيت غرينتش)

الندوة التي جرى التجهيز لها منذ ما يزيد على شهر سكنت. والمباراة التي استعد لها المشجعون قبل أسابيع كسدت. وتراشقات تقاعس الوزراء وتباطؤ المحافظين وتخاذل المسؤولين خمدت. حتى شكاوى اشتعال الأسعار واستفزاز المواطنين واستنفار الغاضبين انطفأت. وخيّمت على تجمعات المصريين نظريات التحليل وتوجهات التعليل وتوقعات التغيير، لكن كلاً بحسب حزمة همومه ومجموعة غمومه.

الغمة التي حطت على جانب من المعمورة في أعقاب كارثة باريس، وقبلها كارثة سيناء، وبينهما كارثة بيروت، وقبلها وبعدها وأثناءها كوارث باتت معتادة وصارت مأنوسة تظهر آثارها واضحة جلية على وجوه المصريين. فبين مجموعات ثرية كانت تخطط لتأشيرة «شينغن» لقضاء رأس السنة الميلادية في عاصمة النور فتبدد النور وضاع «شينغن»، وقطاعات مصرية عاملة في شرم الشيخ كانت تمني نفسها باستقرار دائم وانتعاش قادم فتفجر الاستقرار وتزلزل الانتعاش، وقواعد شعبية تشبه الوضع الراهن بالسباك الذي أصلح صنبور الماء فانفجرت شبكة الصرف الصحي بأكملها، يدور المصريون في دوائر نهارية من التوجس والقلق مما هو قادم وأخرى ليلية من التشكك المشوب بالتخوف.

مخاوف المصريين من أن يكون وقوع الطائرة الروسية في وسط سيناء عملاً إرهابياً تسير في طريق اليقين. الحديث الأوحد المسيطر على الجميع، مع اختلاف الطبقات والفئات، هو حديث الإرهاب الضارب والخراب الواقع. صحيح أن زاوية الدمار صارت أممية وجوانب الهلاك أصبحت عالمية بعد ما جرى في باريس، لكن المنظور المحلي والمفهوم الوطني يقفزان إلى المقدمة.

ورغم عشرات الحملات الترويجية التي انطلقت بعد دقائق من كارثة الطائرة، في رد فعل شعبي طبيعي لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، إلا أن الشعور اليقيني لدى الغالبية دار في إطار وقوع الضرر لا محالة.

استحالة درء الظلال الوخيمة باتت مؤكدة، فالآفاق المصرية ظلت متشبثة بآمال عريضة بصحة التحليلات الإعلامية والاستباقات الفضائية عن أعطال فنية واردة وقدم الطائرة وقائمة مشاكلها السابقة الموثقة. لكن جاء الإعلان الروسي بمُرّ التفجير المرجح، ومن خلفه إعلان «داعش» التفاصيل، ليشكلان محور أحاديث «الناس اللي فوق واللي تحت» على حد سواء.

وسواء عبر بعضهم عن قلقه وغضبه من خلال تأشيرة «شينغن» التي يتوقع أن يكون نيلها أمراً صعباً وإن كان الطالبون محتفلين بأعياد الميلاد ورأس السنة، أو مزيد من التضييق الغربي على حركة السياحة والسفر من المنطقة وإليها، أو المخاوف الآخذة في التضخم من الشرور التي تحدق بالمعمورة وتضع سكان الشرق الأوسط بنسختيه القديمة والجديدة

الجاري تحميلها في خانة الأشرار.

ولأن شر البلية ما يُضحك، فقد همس دكتور فلان في أذن المهندس علان بينما كلاهما في وكالة السياحة التي حجزا فيها رحلة باريسية في كانون الأول (ديسمبر) المقبل محاولين استرداد مقدم الحجز: «يبدو أن حكاية المجلس الأعلى لإدارة شؤون العالم ليست نكتة سخيفة أو خيالات مريضة. ربما يكون هناك من يدير العالم بأسره لحسابه».

وبينما يظل اسم صاحب الحساب مبهماً، يحسب المصريون العاملون في قطاع السياحة في شرم الشيخ وأسرهم حساباتهم. لكنها حسابات معقدة ومتشابكة ولا تبشر بخير كثير. ورغم «توارد خواطر» برامج الـ «توك شو» على القنوات الخاصة التي تبذل جهوداً عاتية وتستضيف خبرات لم يسمع عنها أحد من قبل لبث روح التفاؤل ونشر مشاعر يقينية بأن «بكرة أحلى من النهارده»، إلا أن أحاديث المصريين وتواصلهم الافتراضي وعلى المقاهي تخيم عليها مخاوف أممية وترقبات وطنية وتوجسات سياحية، وتيقنات بأن جهة ما وجماعة ما تدير شؤون العالم وتضرب تارة في وسط سيناء، وتارة في شمال باريس، وثالثة في جنوب بيروت، ودائماً وأبداً في معاقل تشكيل المنطقة وإعادة هيكلتها.

وإلى حين هدوء الساحة والتحقق من مصير السياحة، مكتوب على كل ندوة لمرشح برلماني ومباراة لمنتخب وطني ومغالاة في أسعار وتقاعس مسؤولين وتخاذل آخرين أن تبقى في ذيل قائمة الاهتمام الشعبي، سواء أكان ممن باءت رحلته إلى باريس بالفشل، أو لاح كابوس الإغلاق على محل عمله في شرم الشيخ، أو عاش لحظات الغموض المنبئ بخطر في كل مكان.

4